ثمّ لم تستطع الحكومات تلك تقديم كل الامكانات، ولم تمنع قرار التقسيم، ولم تمنع قيام دولة اسرائيل، ولم تستطع ان توائم بين الكلمة، وما أكثرها، وبين الفعل، وما أنضبه. ان الحكومات كانت مترددة في دخول المعركة، ولولا شعوبها لما دخلت؛ فضلاً عن ان صورة الصهيونيين في الذهن العربي كانت باهتة ومضلّلة، علاوة على ان خططها كانت عاجلة وعفوية لم تختبر فاعليتها.

كما انه يتضح بجلاء، من استقراء الوقائع وتحليل الاحداث ومناقشة ما دار في اجتماعات الجامعة، ان الجامعة لم تستطع ان تحقق اهدافها التي اعلنتها في البداية وحددتها في مؤتمر بلودان العام ١٩٤٦. فلا هي منعت هجرة اليهود، ولا هي اتخذت خطوات ايجابية لتنظيم التقدّم الزراعي وحماية الاراضي الفلسطينية والحفاظ عليها، ولم تصدّ غارات الصهيونيين الوحشية على عرب فلسطين، بل لم تحافظ على التقسيم المرفوض. فقد ضاعت الارض، وشُرِّد عرب فلسطين، وانهزمت الارادة العربية في اطار جامعتها الفتيّة. وكل ما استطاعت فعله هو اعمال المقاطعة ضد اسرائيل، وكذلك ادارة حوار دبلوماسي، واهن الى حد ما، في اطار المنظمة الدولية العالمية، وكان حواراً مشوباً بالحذر، من تخوّف العرب من الامم المتحدة.

والواقع ان الجامعة العربية، كغيرها من المنظمات الاقليمية، فضلاً عن حداثة نشأتها في ذلك الوقت، لم تكن جهة الحسم الوحيدة، علاوة على ان القضية لم تكن قضية عربية هيّنة، بل باتت قضية دولية تنطوي على عناصر الازمة الدولية بكل معاييرها، ولا تقدر الجامعة، بامكاناتها الهشّة، بما تحتويه من واقع يجمع متناقضات، ومع غياب ادارة جادة متفهّمة لديها قدرة على استشراف المستقبل القريب، على الاقل، تستطيع ان تدير صراعاً محتوماً. وليس في ذلك اضفاء اعذار أو خلق تبريرات للجامعة، ولكنها حقيقة. فالدول العربية كانت حديثة الاستقلال وما زالت تحت سيطرة استعمارية شبه كاملة، تغيب فيها، الى حد كبير، القوة النضالية التي يمكن ان تؤثر في سير الاحداث[٣٨]، فضلاً عن تدخل قوى كبرى، لا تملك الدول العربية، منفردة او في اطار منظمتها، دفع هذ التدخل بعيداً منها.

لذلك، فاننا لا نلقي بمسؤولية الفشل على الجامعة. ومهما قيل انها كان يمكن ان تقلّل منه، أو ان تستفيد من دبلوماسية العدو، الّا ان الأمل يدعونا الى القول أن الجامعة يمكن ان تكون موئلاً لتفاعل العناصر والعوامل العربية، تفاعلاً كيميائياً، فتفرز مكوّنات جديدة ونتائج أفضل[٣٩].

حرب العام ١٩٤٨ والقوى الكبرى

ما ان انتهت الحرب العالمية الثانية، حتى عقدت الشعوب العربية، وغيرها من الشعوب التي قاست كثيراً من محن وقسوة الاستعمار، الرجاء على التحرر. وعقد عرب فلسطين آمالهم على نيل استقلالهم؛ ولم يعد متصوراً استمرار الانتداب البريطاني، وان شاب أمل الاستقلال حذر وحيطة التربّص الصهيوني.

ولقد كان من افرازات الحرب العالمية الثانية استقطاب القوى الدولية في قطبين عالميين قدِّر لهما ان يملكا من النفوذ ما لا تضاهيه أية قوى اخرى سواهما. ومن هنا، فانه لا غرابة بتميُّز مناخ السياسة الدولية بالتوترات وعدم الثقة المتبادلة بين القوى والتكتلات الدولية الكبرى.

وباتت دول العالم الثالث رهينة تفاعلات قوى الاستقطاب وتهديد امنها القومي، ان لم يكن ضياعه، حيث تُغيّب مقوّمات وعناصر هذا الامن، فتتكاثر وتتضاعف عوامل الضعف والوهن